﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ [الحج: 75]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

إثبات التّوحيد بإنزال الحجج على ألسنة الرّسل

لما نصب سبحانه الدّليل على أنّ ما يعبده المشركون لا يصلح أن يكون شيء منه إلهًا، بعد أن أخبر أنّه لم ينزل إليهم حجة بعبادتهم لهم، وختم بما له سبحانه من وصفي القوّة والعزّة بعد أن أثبت أنّ له الملك كله، تلا ذلك بدليله الذي تقتضيه سعة الملك وقوّة السلطان من إنزال الحجج على ألسنة الرّسل بأوامره ونواهيه الموجبة لإخلاص العبادة له، المقتضية لتعذيب تاركها[1]، كما أنّه لما نفت الآيات السابقة أن يكون للأصنام التي يعبدها المشركون مزيّة في نصرهم بقوله: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ٧١﴾ [الحج: 71]، وقوله: ﴿ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾، ونعى على المشركين تكذيبهم الرسول ﷺ بقوله: ﴿يَكَادُونَ يَسۡطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۗ﴾ [الحج: 72]، وقد كان من دواعي التّكذيب أنّهم أحالوا أن يأتيهم رسول من البشر: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ﴾ [الأنعام: 8] أي يصاحبه، ﴿۞وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ﴾ [الفرقان: 21] أعقب إبطال أقوالهم جميعًا بأنّ الله يصطفي من شاء اصطفاءه من الملائكة ومن النّاس دون الحجارة، وأنّه يصطفيهم ليرسلهم إلى الناس، أي: لا ليكونوا شركاء، فلا جرم أبطلت هذه الآية جميع مزاعم المشركين في أصنامهم[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَصۡطَفِي﴾: (صفو) الصاد والفاء والحرف المعتل أصل واحد

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 97.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 343.

يَدُلُّ على خُلوص من كُلِّ شَوْبٍ، من ذلك الصّفاء، وهو ضِدُّ الكَدَرِ؛ يُقال: صفا يصفو، إذا خَلُصَ[1]، والاصطفاء: تناولُ صَفْوِ الشَّيء، كما أنَّ الاختيار: تناوُلُ خَيْرِه، والاجتباء: تناول جِبايَتِه، واصطفاء اللّه بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إياه صافيًا عن الشَّوْبِ الموجود في غيره، وقد يكون باختياره وبحكمه وإن لم يَتَعَرَّ ذلك من الأوَّلِ، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

إرسال الرسل حكمةٌ بالغةٌ واصطفاءٌ إلهيٌّ

تُبيِّن الآية أنَّ اللّه ﷻ يختار من الملائكة رسلًا إلى أنبيائه، ويختار كذلك من النّاس رسلًا لتبليغ رسالاته إلى الخلق، لأنّه السميع لأقوال عباده، البصير بجميع الأشياء، وبمن يختاره للرّسالة مِن خلقه[3]، والعالم بأحوال النّاس، والمحيط بأسرار المخلوقات.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

علّةُ فصلِ الآيةِ عمّا قبلها:

إبطال مزاعم المشركين وبيان عدلِ ربِّ العالمين

فُصل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ عمّا قبله؛ لأنّه واقع استئنافًا ابتدائيًّا[4]، وذلك لما بُيِّن في شأن المناسبة، والانتقال من بيان معتقدات المشركين في الآيات السّابقة إلى بيان إرسال اللّه تعالى رسله من الملائكة والبشر جميعًا.

بلاغة الاستفتاح باسم الله الأعظم:

مناسبة إظهار الألفاظ لإظهار المعاني

استهلّ قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ باسم الجلالة مظهرًا في مقام الإضمار حيث لم يقل: (هو يصطفي من الملائكة رسلًا)؛ لأنّ إظهار اسم الجلالة له من مزايا التّأثير

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (صفو).
(2) الراغب، المفردات: (صفو).
(3) نخبة منَ العلماء، التّفسير الميسّر، ص: 341.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 343.

على النّفس، وقوّة الخطاب، ما لا يكون للضّمير، ولمّا كان المقام مقامَ إظهار الاصطفاء؛ ناسب أن يُظهر اسم المصطفي ﷻ.

غرض الابتداء بالمسند إليه:

اصطفاء الرُّسل من الخصائص الإلهيّة

ابتُدِئ بالمسند إليه ﴿ٱللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾؛ لغرضين وهما: الاختصاص، ويقصد به قصر المسند على المسند إليه، فقدّم المسند إليه وهو اسم الجلالة على الخبر الفعلي في قوله ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي﴾ دون أن يقول: نصطفي، لإفادة الاختصاص، أي اللّه وحده هو الذي يصطفي لا أنتم تصطفون وتنسبون إليه[1]، وللتشويق؛ فإنَّ سماعَ الاسم الأعظم يُثير في النّفس تشويقًا لمعرفة الخبر.

نكتةُ إيثار مفردة الاصطفاء:

إرسالُ الرُّسل يكون بعد تصفيتهم وتمييزهم بما يُحقِّق غايةَ الإرسال

آثر النَّظم الكريم استعمال مفردة الاصطفاء في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾؛ لدلالة المفردة على أنَّ اللّه تعالى يصطفي من كان صافيًا عن الشوب الموجود في غيره، فهو سبحانه يصطفي من الملائكة رسلًا بينه وبين العباد، لتربيتهم بأداء الرسالة إذ لم يكونوا بعدُ مستأهلين لاستماع الخطاب بلا واسطة، فيربيهم بواسطة رسالة الملائكة ومن النّاس[2]، وهو ﷻ يُصفّي الرسل من البشرِ من كلِّ ما يعكر صفوَ الرسالة، والقيام بأعبائها.

نكتة التعبير بصيغة المضارع ﴿يَصۡطَفِي﴾:

الإشارةُ إلى اصطفاءِ الله تعالى من عبادِه من يحملُ لواءَ الشَّريعةِ

جاء التَّعبير بصيغة المضارعِ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ دون الماضي، مع أنَّ الاصطفاء قد تحقَّق؛ للدّلالة على تصوير فعل الاصطفاء منه سبحانه لما كان، وللإشارة إلى أنَّ الاصطفاءَ سنّةٌ له في خلقه، ففي كلّ زمان يصطفي اللّه من

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 344.
(2) إسماعيل حقّي، روح البيان: 6/ 62.

يشاء من عباده لتجديد دينه في قلوب العباد وليحيي به ما اندرس من الدّين؛ فإنَّ اللّه تعالى قد ختم الرسالات بآخر الرسل، لكن بقي العلماء وهم ورثة الأنبياء، فإنَّ اللّه تعالى يوفِّق منهم من يعمل لهذا الدّين، ويُجدِّد لهذه الأمة أمر دينها، فهذا من ثمرات الاصطفاءِ، فكما يكون الاصطفاء في الرسل، فهو كذلك في أتباعهم.

نوع حرف ﴿مِنَ﴾ ودلالته:

اصطفاء بعض الملائكة رسلًا

دلَّ حرف ﴿مِنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ على التّبعيض، فقوله: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾ يقتضي أن تكون الرسل بعض الملائكة لا كلّهم[1]، ولهذا ورد في النّصوص أنّ رسلَ اللّه تعالى من الملائكة إلى البشر هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت والحفظة صلوات اللّه عليهم دون غيرهم.

توجيه استشكال:

إرسال الملائكة يكون خاصًّا للبشر وعامًّا للملائكةِ

استشكل بعض العلماء دلالة التبعيض في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾؛ لأنّه يقتضي أن تكون الرّسل بعض الملائكة لا كلّهم، في حين أنَّه قال: ﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا﴾ [فاطر: 1] يقتضي كونهم كلهم رسلًا، وأجيب عنه بأنّه يجوز أن يكون المذكور ههنا من كان رسلًا إلى بني آدم، وهم أكابر الملائكة: كجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت والحفظة صلوات اللّه عليهم، وأمّا كلّ الملائكة فبعضهم رسل إلى البعض كما في موضع فاطر[2]، أو على تقدير محذوف، أي: بعض الملائكة الذين نعرفهم ممن أرسلهم اللّه للبشر.

معنى تعريف لفظ ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾:

اصطفاء الله من جنس الملائكة رسلًا إلى البشر

عُرّف لفظ ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ بـ(أل) الدالّة على تعريف الجنس في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾، فالله

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 253.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 253.

يصطفي من جنس الملائكة رسلًا إلى البشر بمختلف المهامّ، وبالأخصّ لتبليغهم وحيه وشرائعه، وقد اصطفى جبريل عليه السلام من الملائكة ليكون رسوله إلى رُسله.

غرضُ تنكير ﴿رُسُلًا﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿رُسُلًا﴾ في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾؛ للتعظيم، وبيان أنَّهم على قدرٍ من المكانة والفخامة، فهم الرُّسل المصطفون المرتضون.

علَّةُ تقديم الملائكة على النّاس:

قُدِّمَ ذكر الملائكة في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ على ذكر ﴿ٱلنَّاسِۚ﴾؛ لأنّهم هم الواسطة بين الله والرّسل من النّاس، يتوسّطون بينه وبين الأنبياء بالوحي.

دلالة العطف بالواو:

عُطف في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ الجار والمجرور ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ على ﴿مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ بحرف الواو؛ لتشريك النّاس في حكم اصطفاءِ الرُّسُل، وإن كان رسل كلٍّ موصوفة بغير صفة الآخرين، وقيل: إنَّ المراد أنّ الله يصطفي من الملائكة رسلًا إلى سائرِهم في تبليغ ما كلّفهم به من الطّاعات، ومن النّاس رسلًا إلى سائرِهم في تبليغ ما كلّفهم به[1].

تشريك النّاس في حكم اصطفاء الرسل

بلاغةُ تعريف لفظ ﴿ٱلنَّاسِۚ﴾:

عُرّف لفظ ﴿ٱلنَّاسِۚ﴾ بـ(ال) الدالّة على تعريف الجنس في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾، فالله يصطفي من جنس النّاس رسلًا إلى أقوامهم، وقد اختصّهم الله سبحانه بالنّفوس الزكيّة، وأيّدهم بالقوّة القدسية، فهم متعلِّقون بكلا العالمين الروحاني والجسماني، يتلقون من جانب ويلقون إلى

عدل الله قائمٌ على الاصطفاء من جنس النّاس لا من خصوص أقوام

(1) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 197.

جانب، ولا يعوقهم التَّعلُّق بمصالح الخلق عن التبتُّل إلى جناب الحقّ، فيدعونهم إليه تعالى بما أنزل عليهم ويُعلّمونهم شرائعه وأحكامه[1]، فليس الاصطفاء من قوم معيّنين، بل من جنسِ النّاس، ففيه بيانٌ للعدلِ الإلهيِّ، وأنَّ الله ﷻ يقوم اصطفاؤه على ما فيه الخير للنّاس جميعًا.

علَّة فصل جملة الفاصلة:

التَّعليلُ بيانٌ للمخاطبِ وتوكيدٌ للعالم

فُصِلَ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ عن السابق لكمال الاتّصال، فقد وقعت هذه الجملة تعليلًا لمضمون جملة ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾؛ لأنّ المحيط علمه بالأشياء هو الذي يختصّ بالاصطفاء، وليس لأهل العقول ما بلغت بهم عقولهم من الفطنة والاختيار أن يطلعوا على خفايا الأمور، فيصطفوا للمقامات العليا من قد تخفى عنهم نقائصهم بله اصطفاء الحجارة الصمّاء[2].

نكتةُ إظهار ما حقُّه الإضمار:

استحضار عظمة الإله الفعّال لما يشاء من الاصطفاء

آثر النظم إظهار لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾، وهو في مقام الإضمار، حيث لم يقل: (إنّه سميع بصير)، وذلك لأنّ اسم الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾ أصله الإله، أي الإله المعروف الّذي لا إله غيره، فاشتقاقه مشير إلى أنّ مسمّاه جامع كلّ الصفات العُلا تقريرًا للعظمة الّتي يصطفي بها من يشاء[3].

نكتةُ اصطفاء صفتي (السميع البصير):

وعدٌ من الله تعالى لرسله بنصرتهم وتأييدهم في دعوتهم

اصطفى النَّظم صفتي السميع والبصير في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ دون غيرها من صفاته العُلا مناسبة لسياق الآية، فالله سميع بجميع المسموعات ويدخل في ذلك أقوال

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 121.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 344.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 17/ 344.

الرّسل، بصير بجميع المبصرات، ويدخل في ذلك أحوال المرسَل إليهم، وفي ذلك إشعار بأنّ رسله سيواجَهون بأقوال تؤذيهم واستهزاء، وسيقابلون بأفعال تعرقل مسيرة دعوتهم، فيثبّت الله رسله بأنّه معهم سميع لما يقال، بصير بما يُفعل بهم، فهم تحت سمعه وبصره وكلاءته[1]؛ ففي هاتين الصِّفتين وعدٌ بالانتقام من المكذِّبين، والانتصار للرسل وأتباعهم.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الاصطفاء والاختيار والاجتباء والانتقاء والانتخاب:

ألفاظٌ متقاربةٌ اختصَّ كلٌّ منها بنوعِ دلالة

تتقارب هذه الألفاظ في الدّلالة على تحصيل الأفضل، وتختلف فيما بينها في الاشتقاق اللغويّ وبعض الدّقائق المعنويّة، فالاصطفاء مأخوذ من الفعل (اصطفى)، من الجذر اللّغوي (صَفَوَ)، وأصل الصَّفاء: خُلوص الشّيء من الشَّوْبِ، ومنه الصّفا: للحجارة الصّافية[2]، أمّا الاختيار فمن (خَيَر)، وأصله العطف والميل، ثُمّ يحُمل عليه، فالخير خلاف الشّرّ، لأنّ كلّ واحد يميل إليه، ويعطف على صاحبه[3]، فالاختيار أن يختار من غير متشابهات، كأن تختار كتابًا من بين الكتب والأقلام والكرّاسات، أمّا الاصطفاء فيكون بين أشياء متناظرة متشابهة؛ كقوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ﴾ [آل عمران: 33]، فالاصطفاء هنا بين البشر، وهم متناظرون، والاختيار يدلّ على أنّ اختيارك لشيء أخذك خير ما فيه في الحقيقة أو خيره عندك، والاصطفاء: أخذ ما يصفو منه[4]، أمّا الاجتباءُ: فهو الجَمعُ على طريقِ الاصطفاءِ، واجتباءُ الله العبدَ: تخصيصهُ إيَّاه بفضلٍ إلهيٍّ، يتحصّل له منه أنواعٌ منَ النِّعَمِ بلا سعيٍ منَ العبدِ، وذلك

(1) الشعراويّ، تفسير الشعراوي: 16/ 9940.
(2) الرّاغب، المفردات: (صفو).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خير).
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 285.

للأنبياءِ، وبعض مَن يُقاربُهُم منَ الصّدِّيقينَ والشّهداءِ[1]، والانتقاء أخذ النُقاوَةِ وهي أفضل ما انتقيت من شيء وأخلَصهُ[2]، والانتخاب اختيار النَخْبِ، وهو خيار الشّيء[3].

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (جبى)، والراغب، المفردات: (جبى).
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نقي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نخب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»